السيدة سيرين القبطية رضي الله عنها

«سيرين» أخت «مارية القبطية» أهداها «المقوقس» صاحب مصر والإسكندرية، إلى رسول الله ﷺ مع مابور الخصي، فاتخذ رسول الله ﷺ «مارية» لنفسه، ووهب «سيرين» لشاعره «حسان بن ثابت» فولدت له «عبد الرحمٰن بن حسان». فروى عنها ابنها عبد الرحمٰن بن حسان، قالت: رأى رسول الله ﷺ فُرْجة في قبر ابنه «إبراهيم» فأمر بها فسُدَّت، وقال: «إنها لا تضر ولا تنفع، ولكن تَقَرُّ عين الحي، وإن العبد إذا عمل شيئاً، أحب الله منه أن يتقنه»[1]. وقالت: حضر «إبراهيم» ابن النبي ﷺ الموتُ، فرأيت رسول الله ﷺ كلما صحت أنا وأختي، نهانا عن الصياح، وغسَّله «الفضل ابن العباس» ورسول الله ﷺ و «العباس» على سرير، ثم حمل فرأيته جالساً على شفير القبر، ونزل في قبره «الفضل» و «العباس» و«أسامة»، وكسفت الشمس يومئذ، فقال الناس: كسفت لموت «إبراهيم»، فقال رسول الله ﷺ: (لا تكسف لموت أحد ولا لحياته). رحمها الله تعالى.

السيدة الشِّفَاء بنت عبد الله رضي الله عنها

هل أتاك حديث الشفاء، التي كانت رُقاها تكشف الداء، بعد أن يأذن رب الأرض والسماء؟ ها هوذا أبو عمر، يسوق لنا عنها أصدق الخبر. فقد جاء في كتاب الاستيعاب، في معرفة الأصحاب:

نسبها: [الشفاء أم سليمان بن أبي حثمة، هي «الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن صَدَّاد - ويقال ضرار - بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب» القرشية العدوية من المبايعات.

(1) الاستيعاب (4/ 1868).

قال «أحمد بن صالح المصري»: اسمها «ليلى» وغلب عليها «الشفاء»، أمها «فاطمة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم».

إسلامها: أسلمت الشفاء قبل الهجرة فهي من المهاجرات الأول، وبايعت النبي ﷺ كانت من عقلاء النساء وفضلائهن، وكان رسول الله ﷺ يأتيها، ويقيل عندها في بيتها، وكانت قد اتخذت له فراشاً وإزاراً ينام فيه، فلم يزل ذلك عند ولدها حتى أخذه منهم «مروان».

وقال لها رسول الله ﷺ وذلك بعد أن أمرها ﷺ بعرضها عليه رحمها الله تعالى: (علمي «حفصة» رقية النملة كما علمتها الكتاب)[1].

السيدة الشيماء بنت الحارث رضي الله عنها

هل أتاك حديث الشيماء، أخت خير الأنبياء، التي شاركت أمها في حضانته، وبذلت الجهد في رعايته؟

نسبها: أبوها: «الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن مَلاَّن» وأمها «حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب»، ويدعى «عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر»، وأخوها من الرضاع، سيد ولد آدم «محمد» ﷺ فكانت له الحاضنة، كما كانت أمها «حليمة» المرضع

وكانت «حليمة» قد ذهبت مع صويحبات لها إلى مكة يلتمس الرضعاء، ولما عرض «ابن آمنة» عليهن، وعلمن أنه يتيم أعرضن عن أخذه، وقلن: ماذا عسى أن تصنع لنا أمه؟ إنما نرجو المعروف من أب الولد، فأما أمه فماذا عسى أن تصنع إلينا؟.

ولما لم تجد «حليمة» غيره، شاورت زوجها «الحارث» بأخذه فقال لها: لا عليك، فذهبت، وأخذته، وبدأت بركاته تنهل على «حليمة» وأسرتها

(1) الاستيعاب (4/ 1869).

منذ الساعة الأولى التي عرضت عليه فيها ثديها الخاوي من اللبن، لكنه لم يكد يلتقمه حين امتلأ وبدأ يفيض، فلما ارتوى عرضت عليه ثديها الآخر فأباه، كأن الله - جلَّ في علاه - ألقى في روعه أن له شريكاً ما ينبغي له أن يُنَازِعه نصيبه، وأخذت المعجزات والآيات الخارقة تترَى.

فأتانها الضعيفة المهزولة التي حملتها إلى مكة كانت في آخر الرَّكْب، أما في العودة، فكانت أسرع الأُتُن والحمير، حتى إنهم لا يدركونها، وأما شارف زوجها - ناقته المسنة - فقد حفلت باللبن، فقام يحلبُها، وسقى امرأته وشرب حتى ارتويا، وكانت «الشيماء» ابنتها تنتظرهما، وما إن وقع بصرها على الرضيع الذي جاءت به أمها، حتى وقع حبه في قلبها، وأظهرت له الرقة الشديدة، والشفقة بعد أن أخبرتها أمها «حليمة» بيتمه. ومنحته «الشيماء» كل وقتها، وأولته أقصى اهتمامها، فمرة تلاعبه، وتُرقِّصُه، وتقول بلهفة:

يـا ربـنـا أبْـقِ أخـي مـحـمـدا حـتـى أراه يـافـعـاً وأمـردَا
ثـم أراه سـيـداً مـسـوَّدَا واكْبِتْ أعاديه معاً والحُسَّدَا
وأعـطـه عـزًّا يـدوم أبَـدا

قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة[1]: فكان «أبو عروة الأزدي» إذا أنشد هذا يقول: ما أحسن ما أجاب الله دعاءها.

ومرة أخرى تقول:

هـذا أخ لـي لـم تـلـده أُمـي ولـيـس مـن نـسـل أبـي وعـمـي
فـأنْـمِهِ الـلـهـم فـيـمـا تَـنْـمي

ومن كان يصدق أن هذه «الشيماء»، وهي البدوية البسيطة ستكون مجابة الدعاء. ولم تلبث مدة الرضاع، وهي سنتان، حتى انقضت وحملت «حليمة» رضيعها اليتيم، ثم يممت شطر مكة لتسلمه إلى «آمنة بنت وهب»

(1) الإصابة: (4/ 344).

أمه التي ولدته. وكانت لحظة عسيرة، وتجربة مريرة حين ابتعد عنها أحب من وقعت عليه عينها، وبدا لها أن تدعو الله عسى أن يستجيب، فدعته.

وكانت فرحة «آمنة» بانتهاء فترة رضاع ابنها غامرة، إنها تريده أن يؤنس وحدتها، ويزيل وحشتها، فأبوه قد مات عنها، أثناء حملها به، ووجود ابنها بقربها يخفف اللوعة ويشفي جراح الفؤاد. واحتضنت «آمنة» «وليدها» وضمته إلى صدرها فشعرت بالدفء وراحت تغرقه بوابل من قبلاتها، ولكن في العين دمعة، وفي الحلق غصة، فقد تمنت أن يكحل زوجها الراحل «عبد الله» عينيه بنظرة واحدة من هذا السراج المنير، الذي يريح رأسه على أحنِّ الصدور، ولكن هيهات. وتمنَّت «حليمة» على «آمنة» أن تبقي ابنها لديها وتمدد فترة مقامه عندها حتى يقوى عوده ويشتد، ولم تمانع «آمنة» في تحقيق تلك الرغبة، وهكذا، عادت «حليمة» إلى ابنتها «الشيماء» بأخيها القرشي، وعلمت «الشيماء» أن الله سمع دعاءها وأجابها عليه.

وذكر صاحب السيرة الحلبية، عن «حليمة» رضي الله عنها أنه ﷺ لما بلغ شهرين كان يجيء إلى كل جانب، فلما بلغ ﷺ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه، ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم الكلام الفصيح، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي السهام مع الصبيان[1].

وخرج ﷺ ذات يوم مع «عبد الله ابن حليمة» يلعبان خلف البيوت، لكن «عبد الله» عاد مسرعاً إلى البيت، وكان يصيح كالمذعور: أبي! أمي! أدركا أخي القرشي، ولما وصلا إليه وجداه ممتقع اللون، فهدآ من روعه ثم حملاه، وسألاه عما ألم به، فقال: (جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني، فالتمسا شيئاً، لا أدري ما هو؟) فعادا به إلى البيت ثم اتفقا على رده لأمه لئلا يناله مكروه لديهما، دهشت «آمنة» حين أعيد إليها بسرعة رغم أنهما كانا حريصين على بقائه عندهما، ولما أخبرتها بما

(1) السيرة الحلبية (1/ 148).

صنع الرجلان بابنها: قالت: ما للشيطان على ابني من سبيل، وإن لابني لشأناً. ثم قالت لحليمة دعيه وانطلقي راشدة.

وقد وقعت «الشيماء» في سبي هوازن يوم حنين، فقالت: أنا أخت صاحبكم، فلما عرضوها عليه قالت: يا رسول الله! أنا أختك، قال: «وما علامة ذلك؟» قالت: عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك، فعرف رسول الله ﷺ العلامة، وبسط لها رداءه وأجلسها عليه فأسلمت وقيل: إن هذا اللقاء وقع بعد خمسين عاماً من مفارقته لها بعد أن انتهى رضاعه، ولا يعرف تاريخ وفاتها. رحمها الله تعالى.

السيدة الصَّعبة بنت الحضرمي رضي الله عنها

أخرج ابن الأثير في «أسد الغابة»، قال:

[قال «الجعابي»: اسم الحضرمي «عبد الله بن حماد بن ربيعة»، وهي أخت «العلاء بن الحضرمي»، أم «طلحة بن عبيد الله التميمي».

ذكرها «جعفر» من حديث «عبد الله بن رافع»، عن أبيه، قال: خرجت «الصعبة بنت الحضرمي»، قال: فسمعتها تقول لابنها «طلحة بن عبيد الله»: إن «عثمان قد اشتد حصرُه فلو كَلَّمْتَ فيه حتى يردَّ عنه.

وروى «البلاذري» عن «الواقدي»: أنها توفيت على عهد رسول الله ﷺ، قال: وأخبرني بعض «آل طلحة» أنها أسلمت. وكان هذا أشبه من قول من قال: إنها بقيت إلى أن قتل «عثمان» رضي الله عنه، أخرجها أبو موسى][1].

رحمها الله تعالى.

(1) أسد الغابة (5/ 326).